No. 4470 | الإثنين | 16 جمادى الآخرة 1444 هـ | 9 يناير 2023 م | السنة الخامسة عشرة | Alsabah Media | www.alsabahpress.com

علام صبر وكيف كانت محنته؟

أيوب عليه السلام .. نعم العبد إنه أوَّاب

أيوب عليه السلام هو من أنبياء الله الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم.. يعرفه العامة والخاصة، حيث يضرب باسمه المثل في صبر الصابرين فيقال «صبر أيوب»!

فيا ترى من هو أيوب عليه السلام؟ وما هي قصته مع البلايا والصبر؟

أيوب عليه السلام من ذرية يوسف عليه السلام، تزوج سيدة عفيفة، وكان أيوب عليه السلام وزوجته الكريمة يعيشان في منطقة «حوران»، وقد أنعم الله على أيوب عليه السلام بنعم كثيرة فرزقه بنين وبنات، ورزقه أراضي كثيرة يزرعها فيخرج منها أطيب الثمار، كما رزقه قطعان الماشية بأنواعها المختلفة، آلاف من رءوس الأبقار، آلاف من رءوس الأغنام، آلاف من رءوس الماعز، وأخرى من الجمال، وفوق ذلك كله أعلى الله مكانته واختاره للنبوة.

وكان أيوب عليه السلام ملاذًا وملجأ للناس جميعًا وبيته قبلة للفقراء لما علموا عنه كونه يجود بما لديه ولا يمنعهم من ماله شيئًا، ولا يطيق أن يرى فقيرًا بائسًا، وبلغ من كرمه عليه السلام أنه لا يتناول طعامًا حتى يكون لديه ضيف فقير.

وهكذا عاش أيوب عليه السلام.

يتفقد العمل في الحقول والمزارع، ويباشر على الغلمان والعبيد والعمال، وزوجته تطحن وبناته يشاركن الأم، وأبناء أيوب عليه السلام يحملون الطعام ويبحثون عن الفقراء والمحتاجين من أهل القرية، والخدم والعمال يعملون في المزارع والأراضي والحقول.

وأيوب عليه السلام يشكر الله.. ويدعو الناس الى كل خير وينهاهم عن كل شر.

أحب الناسُ أيوب عليه السلام لأنه مؤمن بالله يشكر الله على نعمه، ويساعد الناس جميعا.. ولم يتكبر بسبب ما لديه من مزارع وحقول وماشية وأولاد، وكان يمكنه أن يعيش في راحة، ولكنه كان يعمل بيده، وزوجته هي الأخرى كانت تعمل في بيتها.

راح الشيطان يوسوس للناس يقول لهم: ان أيوب يعبد الله لأنه أعطاه هذا الخير العميم والفضل الكثير من البنين والبنات والأموال من قطعان الماشية والأراضي الخصبة فأيوب يعبد الله لذلك وخوفا على أمواله. ولو كان فقيرًا ما عبد الله ولا سجد له، ووجد الشيطان من يسمع له ويصغي لما يقول من وساوس.. فتغيرّت نظرتهم الى أيوب عليه السلام وأصبحوا يقولون: «ان أيوب لو تعرض لأدنى مصيبة لترك ما هو فيه من الطاعة ولترك الانفاق في سبيل الله، ألا ترون كثرة أولاده وكثرة أمواله وكثرة أراضيه المثمرة، فلو نزع الله منه هذه الأشياء لترك عبادة الله بل سينسى الله. رويدًا رويدًا.

تحول أهل حوران الى ناقمين على أيوب عليه السلام بعدما كانوا يحبونه حبا جما، وأصبحوا يرون أيوب عليه السلام من بعيد فيتحدثون عنه بصورة مؤذية.

وبدأت المحنة والابتلاء من الله تعالى.

فبينما كان كل شيء يمضي هادئا فأيوب عليه السلام حامدًا شاكرًا ساجدًا لله تعالى على نعمه الكثيرة، وأولاده ينعمون ويشكرون الله، والعمال والعبيد يعملون في الأراضي والمزارع، وزوجة أيوب عليه السلام كانت تطحن في الرحى، وبينما الجميع في عافية من أمره مغتبطا مسرورًا، اذ وقعت الابتلاءات والمحن، فجاء أحد العمال يجري ويصيح:- يا سيدي.. يا نبي الله؟!!

- ماذا حصل؟ تكلم.

- لقد قتلوهم.. قتلوا جميع رفاقي.. الرعاة والفلاحين.. جميعهم قتلوا وجرت دماؤهم فوق الأرض، وكيف حدث ذلك؟ هاجمنا اللصوص.. وقتلوا من قتلوا وأخذوا ما معنا من ماشية، فأخذ يردد أيوب عليه السلام: انا لله وانا اليه راجعون.

ان الله سبحانه شاء أن يمتحن أيوب.. وأراد أن يبين للناس أن أيوب عليه السلام رجل صابر محتسب ولا يعبده لأنه في غنى وعافية..

في اليوم التالي نزلت الصواعق من السماء على أحد الحقول التابعة لما يملكه أيوب عليه السلام.. وجاء أحد الفلاحين وكانت ثيابه محترقة وحاله يُرثى له.

هتف أيوب عليه السلام:- ماذا حصل؟ النار! يا نبي الله النار!!

- ماذا حدث؟ احترق كل شيء.. لقد نزل البلاء.. الصواعق أحرقت الحقول والمزارع.. أصبحت أرضنا رمادًا يا نبي الله.. كل رفاقي ماتوا احترقوا.

قالت زوجة أيوب عليه السلام: ما هذه المصائب المتتالية؟فقال لها اصبري فهذه مشيئة الله - مشيئة الله!!

أجل.. لقد حان وقت الامتحان.. ما من نبي الا وامتحن الله قلبه.

نظر أيوب عليه السلام الى السماء وقال بضراعة: الهي امنحني الصبر.

في ذلك اليوم أمر أيوب عليه السلام الخدم والعبيد بمغادرة منزله.. والرجوع الى أهاليهم والبحث عن عمل آخر، وفي اليوم التالي حدثت مصيبة تتكسر أمامها قلوب الرجال..

لقد مات جميع أولاده البنين والبنات، حيث اجتمعوا في دار لهم لتناول الطعام فسقطت عليهم الدار فماتوا جميعا، وازدادت محنة أيوب عليه السلام أكثر وأكثر، فلقد ابتلي في صحته، وانتشرت الدمامل في جسمه..

وتحول من الرجل حسن الصورة والهيئة الى رجل يفر منه الجميع، ولم يبق معه سوى زوجته الطيّبة، وأصبح منزله خاليا لا مال له، ولا ولد، ولا صحة..

عَلِمَ أيوبُ عليه السلام زوجته أن هذه مشيئة الله، وعلينا أن نسلّم لأمره، وحاول الشيطان اللعين أن ينال من قلب أيوب عليه السلام، فأخذ يوسوس اليه من كل جانب قائلا: ماذا فعلت يا أيوب حتى يموت أولادك وتصاب في أموالك، ثم تصاب في صحتك.

فاستعاذ أيوب عليه السلام بالله من الشيطان الرجيم.. وتفل على الشيطان الرجيم ففر من أمامه. وكذلك فعلت زوجته وطردت وساوس الشيطان.

وكان أيوب عليه السلام لا يزداد مع زيادة البلاء الا صبرًا وطمأنينة.

ويئس الشيطان من أيوب وزوجته الصابرين المحتسبين.

فاتجه الى أهل حوران ينفث فيهم الوساوس حتى جعلهم يعتقدون أن أيوب عليه السلام أذنب ذنبا كبيراً فحلّت به اللعنة، ونسج الناسُ الحكايات والقصص حول أيوب عليه السلام.. وتطور الأمرُ أكثر حتى ظنوا أن في بقائه خطرًا عليهم، وعقدوا العزم على أن يخرجوا أيوبَ من أرضهم، وجاءوا الى منزله ولم يكن معه في منزله سوى زوجته، وقالوا له:نحن نظنّ أن اللعنة قد حلّت بك ونخاف أن تعمّ القرية كلها، فاخرج من قريتنا واذهب بعيداً عنا نحن لا نريدك أن تبقى بيننا.

غضبت زوجته من هذا الكلام وقالت: نحن نعيش في منزلنا ولا يحق لكم أن تؤذوا نبي الله في بيته وفي عقر داره، فردُّوا عليها بوقاحة: اذا لم تخرجا فسنخرجكما بالقوّة، لقد حلّت بكما اللعنة وستعمّ القرية كلها بسببكما..

حاول أيوب عليه السلام أن يُفهمَ أهل القرية أن هذا امتحان وابتلاء من الله، وأن الله يبتلي الأنبياء ابتلاءات شديدة حتى يكونوا مثلا ونموذجًا لتعليم الناس.

قالوا له: ولكنك عصيت الله وهو الذي غضب عليك، فقالت زوجته: انتم تظلمون نبيكم..

هل نسيتم احسانه اليكم؟ هل نسيتم يا أهل حوران الكساء والطعام الذي كان يأتيكم من منزل أيوب؟!

قال أيوب عليه السلام: يا رب اذا كانت هذه مشيئتك فسأخرج من القرية وأسكن في الصحراء.. يا رب سامح هؤلاء على جهلهم.. لو كانوا يعرفون الحق ما فعلوا ذلك بنبيهم..

هكذا وصلت محنةُ أيوب عليه السلام، حيث جاء أهلُ حوران وأخرجوه من منزله.

كانوا يظنّون أن اللعنة قد حلّت به، فخافوا أن تشملهم أيضاً.. ونسوا كل احسان أيوب وطيبته ورحمته بالفقراء والمساكين!

لقد سوّل الشيطانُ لهم ذلك فاتّبعوه وتركوا أيوب يعاني آلام الوحدة والضعف والمرض.. ولم يبق معه سوى زوجته الوفية.. وحدها كانت تؤمن بأن أيوب في محنة تشبه محنة الأنبياء وعليها أن تقف الى جانبه ولا تتركه وحيدا، بعدما ضاقت الأحوال ومات الولدُ وجفّ الخيرُ وتكاثفت الأمراض والبلايا على جسمه، فقعد لا يستطيع أن يكسب قوت يومه، فخرجت زوجته تعمل في بيوت حوران، تخدم وتكدح في المنازل لقاء قوت يومهما..

وكانت زوجة أيوب عليه السلام تستمدّ صبرها من صبر زوجها وتحمّله. وقد أعدت لأيوب عليه السلام عريشا في الصحراء يجلس فيه وكانت تخاف عليه من الوحوش والحيوانات الضالة، لكن لا حيلة لهما غير ذلك.

وظل الحال على ذلك أعواما عديدة وهما صابران محتسبان.

وفي يوم من الأيام، وبينما كانت الزوجة الصالحة خارج البيت..

مرّ رجلان من أهل حوران – وكانا صديقين له قبل ذلك – توقفا عند أيوب عليه السلام ونظرا اليه، فرأوه على حالته السيئة من المرض والفقر والوحدة..

فقال أحدهما: أأنت أيوب.. سيد الأرض؟ ماذا أذنبت لكي يفعل الله بك هذا؟!

وقال الآخر: انك فعلت شيئاً كبيراً تستره عنا، فعاقبك الله عليه.

تألّم أيوب عليه السلام.. ان الكثيرين يتهمونه بما هو برئ منه.

قال أيوب عليه السلام بحزن: وعزّة ربي انّه ليعلم ببراءتي مما تقولان.

تعجّب الرجلان من صبر أيوب عليه السلام، وانصرفا عنه.. وأخذا في طريقهما يفكّران في كلمات أيوب عليه السلام!

أما زوجته الصالحة فقد بحثت عمّن يستخدمها في العمل، ولكن الأبواب قد أُغلقت في وجهها.. ومع ذلك لم تمدّ يدها لأحد.

وتحت ضغط الحاجة والفقر كانت تغيب عنه بعض الايام في طلب الرزق، واضطرت يوما أن تقص ضفيرتيها لتبيعهما مقابل رغيفين من الخبز.

ثم عادت الى زوجها وقدّمت له رغيف الخبز وعندما رأى أيوب عليه السلام ما فعلت زوجته بنفسها شعر بالغضب.. وحلف أن يضربها على ذلك مئة ضربة، ولم يأكل رغيفه.. كان غاضباً من تصرّفها.. ما كان ينبغي لها أن تفعل ذلك.

ورغم أن زوجة أيوب عليه السلام كانت تطلب منه كثيرا أن يدعو الله لكي يزيح عنه هذا البلاء الذي استمر سنوات عديدة الا أنه كان يرفض أن يشكو تحمل المرض والبلايا.. وتحمل اتهامات الناس.

لكن بيع زوجته لضفيرتيها هزه من الداخل فنظر الى السماء وقال:

يا رب انّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب.

يا رَب بيدك الخير كله والفضل كله واليك يرجع الأمر كله..

ولكن رحمتك سبقت كل شئ.. فلا أشقى وأنا عبدك الضعيف بين يدك..

يا رب.. مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين..

وهنا.. أضاء المكان بنور شفاف جميل وامتلأ الفضاء برائحة طيّبة، ورأى أيوب ملاكاً يهبط من السماء يسلم عليه ويقول:نعم العبد أنت يا أيوب.. ان الله يقرؤك السلام ويقول: لقد أجبت دعوتك وأن الله يعطيك أجر الصابرين.. اضرب برجلك الأرض يا أيوب.. واغتسل في النبع البارد واشرب منه تبرأ باذن الله.

علامات الساعة الصغرى والكبرى

انتشار الزنا والربا وتقارب الزمان

تشغل علامات الساعة الصغرى والكبرى الكثير من أذهان المؤمنين الموحدين اذ أنها المرحلة الفيصلية للناس بين الدنيا والآخرة، وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم بكثير من أماراتها ووقع منها الكثير وبقي من أهوالها العظام ما هو اكبر، ومن هذه العلامات الصغرى التي وقعت ولمسها الناس في معاشهم:

تطاول الناس في البنيان.

كثرة الهرج (القتل) حتى انه لا يدري القاتل لما قتل والمقتول فيما قتل.

انتشار الزنا.

انتشار الربا.

انتشار الخمور.

انتشار العازفات والأغاني والمغنيات والراقصات.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

سيكون اخر الزمان خسف مسخ وقذف قالوا ومتى يا رسول الله ؟ اذا ظهرت المعازف والقينات وشربت الخمور».

خروج نار من الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصري (الشام) وقد حصل عام 654 هجري.

حفر الأنفاق بمكة وعلو بنيانها كعلو الجبال.

تقارب الزمان.

(صارت السنة كشهر والشهر كأسبوع والأسبوع كيوم واليوم كالساعة والساعة كحرق السعفة) كثرة الأموال واعانة الزوجة زوجها بالتجارة.

ظهور موت الفجأة.

أن ينقلب الناس وتبدل المفاهيم.

واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: «سيأتي على الناس سنون خداعات. يصدق الكاذب ويكذب الصادق ويخون الأمين ويؤمَن الخائن وينطق الرويبضة (والرويبضة) هو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة».

كثرة العقوق وقطع الأرحام.

فعل الفواحش (الزنا) بالشوارع حتى أن أفضلهم ديناً يقول لو واريتها وراء الحائط.

علامات الساعة الكبرى

أما العلامات الكبرى والتي ينتظرها الناس اليوم فمنها:

معاهدة الروم

وفي البداية يكون المسلمون في حلف (معاهدة) مع الروم لمقاتلة عدو من ورائنا ونغلبه وبعدها يصدر غدر من أهل الروم ويكون قتال بين المسلمين والروم.. في هذه الأيام تكون الأرض قد ملئت بالظلم والجور والعدوان ويبعث الله تعالى رجلا الى الأرض من آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي، يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

خروج المهدي

ويرفض هذا الرجل أن يقود الأمة ولكنه يضطر الى ذلك لعدم وجود قائد ويلزم الزاما ويبايع بين الركن والمقام فيحمل راية الجهاد في سبيل الله ويلتف الناس حول هذا الرجل الذي يسمى بالمهدي وتأتيه عصائب أهل الشام، وأبدال العراق، وجنود اليمن وأهل مصر وتتجمع الأمة حوله. تبدأ بعدها المعركة بين المسلمين والروم حتى يصل المسلمون الى القسطنطينية (اسطنبول) ثم يفتحون حتى يصل الجيش الى أوروبا حتى يصلوا الى روميا (ايطاليا) وكل بلد يفتحونها بالتكبير والتهليل وهنا يصيح الشيطان فيهم صيحة ليوقف هذه المسيرة ويقول: ان الشيطان قد خلفكم في ذراريكم ويقول قد خرج الدجال. والدجال رجل أعور، قصير، أفجح، جعد الرأس سوف نذكره لاحقا، ولكن المقصود أنها كانت خدعة وكذبه من الشيطان ليوقف مسيره هذا الجيش فيقوم المهدي بارسال عشرة فوارس هم خير فوارس على وجه الأرض يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: أعرف أسمائهم وأسماء ابائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على وجه الأرض يومئذ ليتأكدوا من خروج المسيح الدجال لكن لما يرجع الجيش يظهر الدجال حقيقة من قبل المشرق ولا يوجد فتنة على وجه الأرض أعظم من فتنة الدجال.

خروج الدجال

يمكث في الأرض أربعين يوماً،يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وباقي أيامه كأيامنا، ويعطيه الله قدرات فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت اذا آمنوا به، وان لم يؤمنوا وكفروا به، يأمر السماء بأن تمسك مطرها والأرض بأن تقحط حتى يفتن الناس به. ومعه جنه ونار، واذا دخل الانسان جنته، دخل النار، واذا دخل النار، دخل الجنة. وتنقلاته سريعة جدا كالغيث أستدبرته الريح ويجوب الأرض كلها ماعدا مكة والمدينة وقيل بيت المقدس.. من فتنه هذا الرجل الذي يدعي الأولوهية وانه هو الله تعالى الله لكنها فتنة، طبعا يتبعه أول ما يخرج سبعون ألفا من اليهود ويتبعون كثيرا من الجهال وضعفاء الدين. ويحاجج من لم يؤمن به بقوله، أين أبوك وأمك، فيقول قد ماتوا منذ زمن بعيد، فيقول ما رأيك ان أحييت أمك وأباك، أفتصدق؟ فيأمر القبر فينشق ويخرج منه الشيطان على هيئه أمه فيعانقها وتقول له الأم، يا بني، آمن به فانه ربك، فيؤمن به، ولذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يهرب الناس منه ومن قابله فليقرأ عليه فواتح وخواتيم سورة الكهف فانها تعصمه باذن الله من فتنته. ويأتي أبواب المدينة فتمنعه الملائكة من دخولها ويخرج له رجل من المدينة ويقول أنت الدجال الذي حذرنا منه النبي، فيضربه فيقسمه نصفين ويمشي بين النصفين ثم يأمره فيقوم مرة أخرى. فيقول له الآن آمنت بي؟ فيقول لا والله، ما ازدت الا يقينا، أنت الدجال.

في ذلك الزمان يكون المهدي يجيش الجيوش في دمشق (الشام) ويذهب الدجال الى فلسطين ويتجمع جميع اليهود كلهم في فلسطين مع الدجال للملحمة الكبرى.

نزول عيسى بن مريم

ويجتمعون في المنارة الشرقية بدمشق، في المسجد الأبيض (قال بعض العلماء انه المسجد الأموي)، المهدي يكون موجودا والجاهدون معه يريدون مقاتلة الدجال ولكن لا يستطيعون، وفجأة يسمعون الغوث (جاءكم الغوث، جاءكم الغوث) ويكون ذلك الفجر بين الأذان والاقامة. والغوث هو عيسى بن مريم ينزل من السماء على جناحي ملك، فيصف الناس لصلاة الفجر ويقدم المهدي عيسى بن مريم للصلاة بالناس، فما يرضى عيسى عليه السلام ويقدم المهدي للصلاة ويصلي ثم يحمل الراية عيسى بن مريم، وتنطلق صيحات الجهاد (الله أكبر) الى فلسطين ويحصل القتال فينطق الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله، فيقتله المسلم فلا يسلط أحد على الدجال الا عيسى أبن مريم فيضربه بحربة فيقتله ويرفع الرمح الذي سال به دم ذلك النجس ويكبر المسلمون ويبدأ النصر وينطلق الفرح بين الناس وتنطلق البشرى في الأرض. فيخبر الله عز وجل عيسى بن مريم، يا عيسى حرز عبادي الى الطور أهربوا الى جبال الطور، لماذا؟؟ قد أخرجت عبادا لا يدان لأحد على قتالهم (أي سوف يأتي قوم الآن لا يستطيع عيسى ولا المجاهدون على قتالهم).